الوعي

١٢٠

مجلة تركيا الإسلامية الحضارية

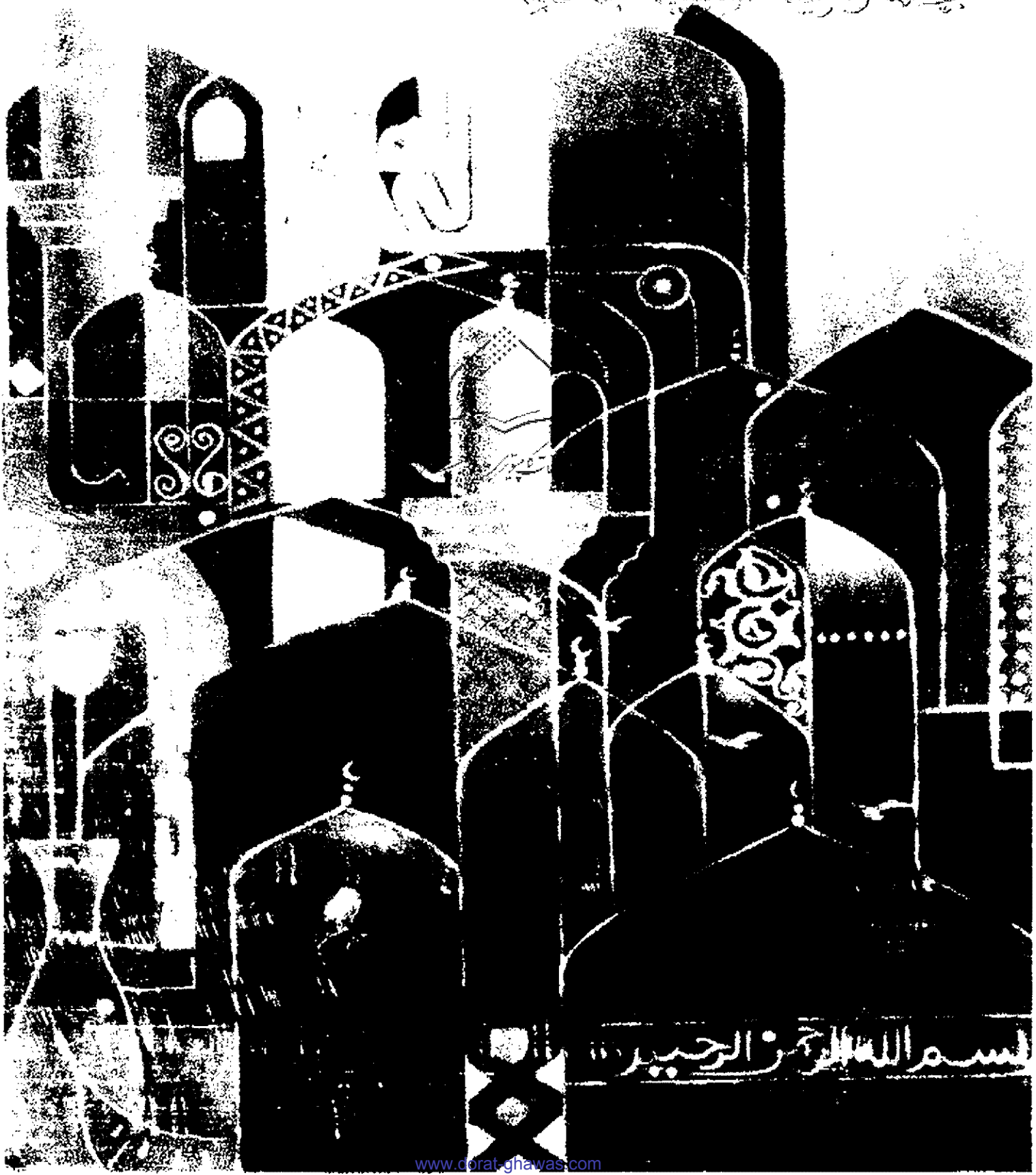

بسم الله الرحمن الرحيم

www.dorat-ghawas.com

المجلد الثلاثون ـ العدد الرابع ـ ٢٠٠٩م ـ ١٤٣٠هـ

المحتوى

■ الموردة

* قاتَلَهُمُ اللّـهُ أنّى يُؤفكون ..... د . محمد البكاء ٣ ـ ٤

■ بحوث ودراسات

* اليهود في القرآن الكريم ..... د . محمد البكاء ٥ ـ ١٥
* تجارة العرب المسلمين الى البيزنطية ..... د . طه خضر عبيد ١٦ ـ ١٩
* التقسيم الاقليمي في كتب التراجم الادبية
نشأة ـ تطور ـ نتائج ..... د . احمد النجدي ٢٠ ـ ٢٨
* صور الشعراء الفنية ـ قبل الاسلام ـ
من الوجهة النفسية ..... د . احمد اسماعيل النعيمي ٢٩ ـ ٣٩
* حسين بن علي العشاري
دراسة تحليلية في شعره ..... أ . د . عباس مصطفى الصالحي ٤٠ ـ ٥٧
* الفكاهة والغزل في شعر الفقيه
المجاهد محمد سعيد الحبوبي
١٨٤٩ ـ ١٩١٥ ..... أ . د . محمد حسن علي مجيد ٥٨ ـ ٦٩
* مقابسات في الفلسفة الصوفية
القسم التاسع ـ الجزء الاول ..... عزيز عارف ٧٠ ـ ٧٨

■ نصوص محققة

* شعر ابن منادر / ٥٧٠هـ القسم الاول ..... جمع وتحقيق عبد العزيز ابراهيم ٧٩ ـ ٩٥
* شعر ابن ليون التجيبي المتوفى
سنة ١٩٨هـ القسم الاول ..... د . هدى شوكت بهنام ٩٦ ـ ١٠٩

■ نقد وتعقيب

* كتاب « نسيم السحر » للثعالبي
توثيق وتأصيل ..... د . محمود عبد الله الجادر ١١٠ ـ ١٢٠
* اخبار التراث العربي ..... حسن عربيي الخالدي ١٢١ ـ ١٢٨

في هذا العدد

www.dorat-ghawas.com

مقابسات في الفلسفة الصوفية

القسم التاسع

الجزء الاول

ملاحظات حول ترجمة آربري لنصوص النفري

عزيز عارف

(١)
السر الصوفي

* **نص النفري[١]**

« ياعبد ! إستعذ بي من سرّك بابوائك اليّ »

* **ترجمة آربري[٢]**

Seek refuge with Me from thy joy in taking refuge in Me »

* **استدراك وتعليق**

من الواضح أن لفظ (سرك) في نص النفري انما هو من (السر) وجمعه (أسرار) . أما في ترجمة الاستاذ آربري فقد ورد بمعنى (السرور) على النحو الآتي : « سرورك ... thy joy » .

ومن هنا جاءت الترجمة بعيدة كل البعد عن معنى النص .

* **ما معنى (السر) عند الصوفية ؟**

١ ـ جاء في كتاب (اللمع) للسراج :

« السِرّ : خَفاءُ بين العدم والوجود ، موجود في معناه »[٣] ، هذا التعريف للسر دقيق وبليغ . هو شيء موجود ولكنه غير محسوس ولا منظور . هو معنى معقول ، وجوده في معناه . ومثل السر هنا كهذا (الحد الفاصل) بين (الظل) و (نور الشمس) ، هذا (الفاصل) له وجود ولكنه ليس ظلاً ولا نوراً . ليس بظل ، لان له نسبة وجودية الى نور الشمس ، وليس هو نور الشمس ، لان له نسبة وجودية الى الظل . انه . ـ في الحقيقة ـ خفاء مستور بين النور والظل . وهذا الفاصل (الخفاء) له وجود مستقل ، وجوده في معناه .

٢ ـ وللسِر (سِرٌ) . وما سر السر ؟

انه « ما لا يحسُ به السرُ ، فان أحسَّ به فلا يقال له : سر »[٤] .

٣ ـ ويقول (ابن عربي) في كتابه (اصطلاح الصوفية) .

«السر : يطلق فيقال : سر العلم بازاء حقيقة العالم به ، وسر الحال بازاء معرفة مراد الله فيه ، وسر الحقيقة بازاء ما تقع به الإشارة[٥]» .

٤ ـ وكتمان (السر) من الاصول الثابتة عند الصوفية ، ويريدون بالسر هنا (سر الوحدانية) كما دعاه بعض العارفين أو (سر الربوبية) كما سمّاه آخرون ، أو (سر الخصوصية) كما جاء في الحكم العطائية للشيخ احمد بن عطاء الله الاسكندري . وهذا هو السر الذي قال فيه السهروردي (المقتول) : « بالسر إن باحوا تُباح دماؤهم » .

* **ما معنى نص النفري ؟**

١ ـ الذي نراه أن النفري أراد أن يقول على لسان الحق سبحانه : ياعبد ! اذا غمّك سرك وأثقل عليك ، فلا سبيل لك

www.dorat-ghawas.com

للنجاة منه الا بالالتجاء اليّ ، أنت وسرك !

٢ - ونتساءل : ما معنى (السر) هنا في نص النفري ؟

الجواب - كما نرى - يحتمل وجهين من المعنى :

• الاحتمال الاول

هو هذا الحال الذي يحس به الصوفي في نفسه من تقصير في اداء ما عليه من حق للحق وللخلق ، فيستصغر نفسه ، على حين أن الناس يظنون فيه العصمة من النقائص فيكبرونه ويعظمونه وهم لا يدرون ما يختلج في نفسه . وقد عَبر عن هذا الحال الشيخ احمد بن عطاء الله الاسكندري قائلاً : « الناس يمدحونك بما يظنون فيك ، فكن أنت ذاماً لنفسك لما تعلمه منها »[٦]

• اما الاحتمال الثاني

لمعنى (السر) . وهو الذي نرجّحه ، فقد عَبر عنه أوضح تعبير الشيخ سهل بن عبدالله التستري بقوله : العلوم ثلاثة : علم ظاهر نبذله لاهل الظاهر . وعلم باطن لا يسع إظهاره الّا لاهله . وعلم هو (سِرٌ) بين العالم وبين الله تعالى : هو حقيقة ايماء، لا يظهره لاهل الظاهر ولا لاهل الباطن »[٧] .

(٢)
(العالِم الربّاني)

نص النفري[٨]

«يا عبد : قد تفقه المعرفة ولا تفقه ألفة المعرفة ، وقد تفقد المعرفة ، ولا تفقد ألفة المعرفة . فاذا فقدت ألفة المعرفة ، فانطق بما شئت ، لا يضرّك ، لانك العالم الرباني ، والربّاني لا يألف فتترتب عليه الالفة ، ولا يستوحش فيترتّب عليه الانس »

ترجمة آربري[٩]

Sometimes thou understandest gnosis ,but not the companionship of gnosis: and sometimes thou losest gnosis,but not the companionship of gnosis.When thou losest the companionship of gnosis , speak of what thou wilt , and it shall not harm thee: for thou art the rabbinacal doctor,and the rabbinacal doctor does not companion,that compainonship should be ranked above him,neither feels he estrangement ,that familiarty should be ranked above him .

استدراك وتعليق

أولاً :

هذا النص من اشارات النفري البالغة الدقة والعمق ، وقبل أن نخوض في تحليله وشرح معناه ، نقول :

ان ترجمة الاستاذ آربري جاءت مختلةً ، بعيدة كل البعد عن معنى النص .

ولعل مَنْ يسأل : وأين موضع الخلل في الترجمة ، ولماذا ؟ وجوابنا :

ان لفظ (الربّاني) يرد في النص مرتين « - (العالم الرباني) - و - (الرباني) - » ويفهم منه هنا العالم الذي يتلقى (العلم اللدني) وهباً من الله تعالى . وجاء النص على لسان الحق سبحانه وهو يخاطب الصوفي السالك في طريق الحقيقة ، العارف المسلم .

اما في ترجمة الاستاذ آربري فقد جاءت عبارة (العالم الرباني) على النحو التالي :

«The Rabbinical doctor»

وهي هنا بمعنى : أحد العلماء الربّانيين اليهود ، أو المتخصص بتعاليم الربانيين أو الاحبار أو بكتاباتهم ، وما أبعد الفرق بين (معنى النص) و (معنى الترجمة) .

ثانياً :

ولفرض التوضيح ، سأعرض هنا معنى كلمة «Rabbinical

كما هو مفصّل في المعجم الانكليزي The Random House Dictionary of the English Language)

وهو من المعاجم المعتمدة في اللغة الانكليزية .

Rabbi - 1- the chief religious official of a synagogue, trained

www.dorat-ghawas.com

usually in a theological seminary and duly ordained ,who delivers the sermon at a religious service and performs ritualistic, pastoral, educational, and other functions in and related to his capacity as a spiritual leader of Judaism and the Jewish community...

2. a title of respect for a Jewish scholar or teacher.

3. a Jewish scholar qualified to rule on questions of Jewish law.

4. any of the Jewish scholars of the 1st to 6th centuries A.D. who contributed to the writing, editing,or compiling of the Talmud.

Rabbinical - 1- of or pertaining to rabbis or their learning ,writings ,etc.

2 – for the rabbinate : a rabbinical school.

Also, rabbinic .

ثالثاً ـ

ويبدو لنا أن الاستاذ آربري قد وهم أن العالم الرباني هنا في نص النفري ، انما يشير الى نفس المعنى الثابت في التنزيل العزيز عن (الربانيين) اليهود ، وهم كما يذهب المفسرون ، علماء اليهود وفقهاؤهم .

قال الله تعالى : « ولكن كونوا ربّانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »[١٠]

وقال تعالى : إنّا أنزلنا التوراة فيها هدىً و نورٌ ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربّانيون والاحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء »[١١] .

وقال تعالى : « لو لا ينهاهم الربّانيون والاحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون »[١٢] وشتان بين معنى (الربانيين) كما جاء في التنزيل العزيز ، وبين معنى (العالم الرباني) كما ورد في نص النفري .

رابعاً ـ ما معنى نص النفري ؟

قد يبدو هذا النص مشوباً بالغموض ، ولغرض توضيحه وتقريبه الى الاذهان ، سنأخذ بتحليل عباراته بشيء من التبسيط .

١ـ ما مفهوم (المعرفة) في النص ؟

للمعرفة عند الصوفية معانٍ كثيرة ، وهنا في نص النفري يراد بها العلم بالله تعالى ، أو العلم بالحقيقة المطلقة . ويفرّق النفري بين (المعرفة) و (العلم) ، فاما المعرفة فهي المعرفة بالله تعالى ، وأما العلم فهو العلم باحكام الله أوامره ونواهيه . (المعرفة) عند النفري اعلى درجةً في السلوك الصوفي من (العلم) . اما عند (ابن عربي) فان (العلم) يراد به المعرفة بالله تعالى ، على معنى المعرفة عند النفري . وفي تسمية هذا المقام بالمعرفة وصاحبه بالعارف ، يقول الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) : « اختلف أصحابنا في مقام المعرفة والعارف ، ومقام العلم والعالم ، فطائفة قالت : مقام المعرفة رباني ، ومقام العلم الهي ، وبه أقول وبه قال المحققون كسهل التستري وأبي يزيد وابن العريف وأبي مدين . وطائفة قالت : مقام المعرفة الهي ، ومقام العلم دونه ، وبه أيضاً أقول ، فانهم أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة ، وأرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم ، فالخلاف فيه لفظي »[١٣] ومعنى هذا الكلام أن لفظ (المعرفة) يراد به عند قوم (العلم بالله) او العلم بالحقيقة المطلقة ، وان لفظ (العلم) عند آخرين ، يراد به (المعرفه بالله) أو معرفة الحقيقة المطلقة ، فالخلاف هنا في التسمية لا في المعنى .

٢ـ ما مفهوم (ألفة المعرفة) في النص ؟

أراد النفري أن يقول ان العارف مزدوج (عارف ومعرفة) قد ألف المعرفة و ألفته المعرفة . ويظل العارف بعيداً عن حقيقة المعرفة الّا اذا تجرد عن المعرفة فوقف في موقف التجريد والتفريد . يقول النفري في كتابه (المواقف) على لسان الحق سبحانه : « اذا ألفت معرفتي بينك وبين علم أو اسم أو حرف أو معرفة ، فجريت بها وأنت بها واجد ، وأنت بها ساكن ، فانما معك (علم معرفة) لا (معرفة) ـ »[١٤] ويقول : « لا يصلح لحضرتي العارف قد بنت سرائره قصوراً في معرفته . فهو كالملك ، لا يُحب أن يزول عن ملكه »[١٥] .

٣ـ ما معنى : قد تفقه المعرفة ولا تفقه ألفة المعرفة ؟

لعل أوضح تفسير لهذه العبارة ما قاله النفري في موقف

www.dorat-ghawas.com

(قلوب العارفين) على لسان الحق سبحانه : « يتعلق العارف بالمعرفة ويدعي أنه تعلق بي ، ولو تعلّق بي ، هرب من المعرفة كما يهرب من النكرة . »[١٦] .

ان المعرفة هنا تلازم العارف وتصاحبه ، هما اثنان متآلفان ، والعارف هنا يفقه معرفته ، ولكنه لم يفقه بعد أنها ليست بمعرفة ، وأن (حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف)[١٧] كما يقول الشيخ الصوفي ابو العباس بن القاسم (ت ٣٤٢ هـ) .

٤ ـ ما معنى : قد تفقد المعرفة ولا تفقد ألفة المعرفة ؟

لعل أوضح تفسير لهذه العبارة ما قاله النفري في كتابه (المواقف) على لسان الحق سبحانه : « العارف يرى المعرفة ولا يراني »[١٨] .

ان العارف هنا يفقد معرفته بالله [لا يراني] ، ولكنه لا يفقد ألفة المعرفة [يرى المعرفة] . ان المعرفة بالله تقتضي (التجريد) وكيف يكون العارف في موقف التجريد وهو متمسك بمعرفته ومؤتلف معها ؟

ولهذا فان العارف يفقد (المعرفة بالله) ما دام في (ألفة المعرفة) .

٥ ـ ما معنى : اذا فقدت ألفة المعرفة فانطق بما شئت ؟

لعل أوضح تفسير لهذه العبارة ما قاله النفري على لسان الحق سبحانه : « قل للعارفين ، وقل لقلوب العارفين : قفوا لي لا للمعرفة ، أتعرف اليكم بما أشاء من المعرفة ، وأثبت فيكم ما أشاء من المعرفة ، فان وقفتم لي ، حملتم معرفة كل شيء »[١٩]

٦ ـ ما مفهوم (العلم الرباني) ؟

يراد بالعلم الرباني هنا العلم الذي يقع للعالم به بتعريف الحق (بالوهب الالهي) ، لا بتعريف الخلق . يقول الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه (التدبيرات الالهية في اصلاح المملكة الانسانية)

«.....فان الله تعالى قد يخصّ مَنْ يشاء من عباده بما شاء من علومه ، كما قال : (يؤتي الحكمة مَنْ يشاء) وقال : (ـ وعلمناه من لدنّا علماً » ـ)[٢٠] ويقول ابن عربي في كتابه (المسائل) :

« إن علومنا غير مقتنصة من الألفاظ ، ولا من أفواه الرجال ، ولا من بطون الدفاتر والطروس ، بل علومنا عن تجليات على القلب عند غلبة سلطان الوجد ، وحالة الفناء بالوجود ... »[٢١] .

ويقول في كتابه « الفتوحات المكية » :

« ... اذا سلم القلب من علم النظر الفكري شرعاً وعقلاً كان أمياً وكان قابلاً للفتح الالهي ... ويرزق من العلم اللدني في كل شيء ما لا يعرف قدر ذلك الّا نبي أو مَنْ ذاقه من الاولياء »[٢٢] .

وفي كتابه (المواقف) يقول النفري على لسان الحق سبحانه : « اذا تعرفت اليك سقطت المعارف من سواك ، واذا لم أتعرف اليك فمعرفتك على أيدي العارفين »[٢٣] .

ويقول :

« العلم الذي ضده الجهل علم الحرف ، والجهل الذي ضده العلم جهل الحرف ، فاخرج من الحرف [اي قف في موقف التجريد] تعلم علماً لا ضد له وهو الرباني ... »[٢٥] .

وما أكثر ما يتردد عند الصوفية قول (أبي يزيد البسطامي) وهو يخاطب علماء زمانه : « أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . »[٢٦] .

٧ ـ ما معنى : الرباني (لا يألف) و (لا يستوحش) ؟

الذي نراه أن النفري يشير هنا الى فكرة صوفية ، جد عميقة ، تلك هي فكرة الجمع بين الضدين في رحاب الوجود المطلق بنسبةٍ واحدةٍ ، لا بنسب مختلفة .

ويريد النفري أن يقول ان (العالم الرباني) وهو يقف في موقف التجريد والتفريد في رحاب الوجود المطلق ، قد استوى لديه الضدان وانعدم الفرق بينهما . فهو لا يعرف (الفة) ولا يعرف (وحشة) ، انهما متعادلان عنده ، بل لا وجود لهما على الاطلاق .

وما دام (الرباني) في رحاب المطلق ، فكل ضدين يستويان لديه . يستوي عنده الخوف والأمن ، ويستوي الضر والنفع . انه لم يعد يعرف الاضداد . لقد صار كل ضدين عنده متعادلين .

وليس في الامكان إدراك هذا المعنى ، لانه (فوق طور العقل) كما يعبرّ ابن عربي .

(٣)
(ما سر الاسماء ؟)

نص النفري[٢٧]

« إذا خرجتَ عن الحرف ، خرجتَ عن الأسماء ، واذا خرجتَ عن الأسماء ، خرجت عن المسمّيات ، واذا خرجت عن المسمّيات ، خرجتَ عن كل ما بدا ، واذا خرجت عن كل ما بدا ، قلتَ فسمعتُ ، ودعوتَ فاجبتُ . » .

ترجمة آربري[٢٨]

When thou emergest from letter ,thou emergest from the names ,when thou emergest from the names ,thou emergest from the

www.dorat-ghawas.com

things named ,when thou emergest from the things named ,thou emergest from all phenomena ,when thou emergest from all phenomena ,thou speakest and I hear ,thou prayest and I answer.

استدراك وتعليق

أولاً ــ

هذا النص من اشارات النفري الدقيقة العميقة ويمثّل ـ كما نرى ـ كل فلسفة النفري القائمة على اساس الفرق بين (الذات) و (الوهية الذات) ، أي بين (الغيب المطلق) و (الصفات والأسماء الالهية) . والنص ـ كما ترى ـ مرموز ، بل هو مثقل بالرمز ، ويحتاج الى تأمل طويل وإنعام نظر .

ثانياً ــ ونلاحظ على ترجمة الاستاذ آربري أنها قد ابتعدت كل البعد عن معنى النص ، بل هي ـ كما نرى ـ لا تؤدي بالشكل الذي جاءت به ، أي معنى مقبول .

ثالثاً ــ ولعل مَنْ يسأل : أين موضع الخلل في هذه الترجمة ، ولماذا ؟ وجوابنا :

لاحظ كيف إن العبارة (خرجت عن) ـ الواردة في نص النفري ـ تتكرر سبع مرات ، وهي بمعنى :الإنصراف عن الشيء والابتعاد عنه . اما في ترجمة آربري فقد وردت سبع مرات على النحو التالي : (emergest from .)

بمعنى :(تنبثق من) ، أو (تنشأمن) ، وفرق في المعنى بين (الانصراف عن الشيء) ـ كما في النص ـ و (الانبثاق من الشيء وظهور الشيء من شيء آخر) ـ كما في الترجمة .

رابعاً ـ ما معنى النص ؟

قبل الخوض في معنى هذا النص ، يحسن بنا أولاً أن نمهد بشيء من التوضيح .

١ـ في كتاب (المواقف) للنفري يرد هذا النص في (موقف التقرير) ويتحدث فيه على لسان الحق سبحانه عن حال (الواقف) الذي لا يعرف المجاز والمسافات بينه وبين الحق . ومقام الواقف هنا انما هو (التجريد والتفريد) وهذا أقصى ما يصل اليه الصوفي السالك في طريق الحقيقة .

٢ ـ ولا بد لمثل هذا السالك أن يتدرج صعوداً ـ كما يرى النفري من درجة الزاهد (العابد) الى درجة (العالم) ومنها الى درجة (العارف) ثم يعرج منها الى درجة (الواقف) وهي أعلى درجات السلوك الصوفي عند النفري .

٣ ـ وما دام الصوفي سالكاً في طريق الحقيقة ، فانه يظل محجوباً عن الحقيقة ، يظل بينه وبينها (مجاز) ومسافات . ويرى النفري أن العابد تحجبه عبادته ، وان العالم يحجبه علمه ، وأن العارف تحجبه معرفته ، فاذا انتهى (العارف) الى درجة (الواقف) فقد صار من (أهل الحضرة) ولم يعد بينه وبين الحق (مجاز) .

يقول النفري على لسان الحق سبحانه :

« الواقف لا يعرف المجاز ، واذا لم يكن بيني وبينك مجاز ، لم يكن بيني وبينك حجاب »[٢٩] وتلك هي منزلة (التجريد والتفريد) .

٤ ـ ويشير النفري بـ(الحرف) الى الحجاب الذي يحجب الصوفي عن الحقيقة المطلقة ، وهو يدعوه الى أن ينبذ الحرف ، ويخرج عنه ، لأن العلم بالحقيقة انما هو من وراء الحرف .

يقول النفري على لسان الحق سبحانه :

« العلم من وراء الحروف[٣٠] » ويقول :

« أصحاب الحروف محجوبون عن الكشوف »[٣١] ويقول :

« الخارجون عن الحرف هم أهل الحضرة » ..... و أهل الحضرة هم الذين عندي »[٣٢]

٥ ـ ويشير النفري بـ(الاسماء) الى الأسماء الالهية ، ويرى أنها حجب ، لا دلالة لها على (الغيب المطلق) .وفي هذا المعنى يقول (أبو علي الروذباري) ـ (وهو من مشايخ الطبقة الرابعة ، ت ٣٢٢هـ) ـ :

« تشوّفت القلوب الى مشاهدة ذات الحق ، فألقيت اليها الأسامي ، فركنت اليها ، والذات مستترة الى أوان التجلي ... »[٣٣] وفي هذا المعنى كذلك ، يقول الشيخ محيي الدين بن عربي :

« ... ليس بأيدينا على الحقيقةمن الحق تعالى الّا اسماؤه نعقل منه غيرها ، وبهذه النسبة نسميه معروفاً ومعلوماً ، ونسمي أنفسنا علماء وعارفين ، ولهذا لا يقع التسبيح والتقديس الّا على الاسم فقال تعالى :« سبح اسم ربك الاعلى) و « تبارك اسم ربك » ـ)[٣٤]

٦ ـ نعود فنتساءل :

ما معنى نص النفري ؟

أغلب الظن أن النفري هنا يدعو العارف بالله الى أن يصفّد همته ، فيتخلى عن كل ما علمه وعرفه ، ويستعد لتلقي ما يتجلى له ويُكشف من العلم اللدني . يقول النفري في (موقف العبدانية) على لسان الحق سبحانه : « سيأتيك الحرف وما فيه ، وكل شيء ظهر فهو فيه ، وسيأتيك منه اسمي واسمائي [يشير هنا الى

www.dorat-ghawas.com

العلم الظاهر] وفي اسمي واسمائي سري وسر إبدائي [يشير هنا بالسر الى العلم الباطن] وسياتيك منه العلم ، وفي العلم عهودي اليك ووصاياي [يشير الى العلم باحكام الله ، أوامره ونواهيه] وسياتيك منه السر ، وفي السر محادثتي لك وايمائي [يشير الى الكشوف والتجليات الالهية] ، فسيدفعونك عنه [أي عن العلم الباطن ، يشير الى اهل الظاهر] فادفعهم عن نفسك . »[٣٥] .

وفي هذا المعنى يقول النفري في (موقف عهده) على لسان الحق سبحانه ، يصف حال الواقف في (التجريد والتفريد) : « قد رأيتني ، فالأمر بيني وبينك ، ليس هو بينك وبين علم ، ولا بينك وبين معرفة ... ولا بينك وبين الحروف ، ولا بينك وبين الأسماء ، ولا بينك وبين شيء »[٣٦] .

ويقول في كتابه (المخاطبات) على لسان الحق سبحانه وهو يخاطب العبد :

« ان الاسم حجابي ، وان العلم حجابي ، وان الحرف حجابي ، ومقامك انما هو بين يديّ ... »[٣٧]

(٤)
(نار الوصول)

نص النفري[٣٨]

« يا عبد ! مَنْ دلّ على الحجاب فقد رفعتُ له نار الوصول »

ترجمة آربري[٣٩]

« Whoso indicates the veil, for him I have raised the fire of union. »

استدراك وتعليق

أولاً :

هذا النص من اشارات النفري الدقيقة العميقة ، وقبل الخوض في معناه نقول : إن ترجمة الاستاذ آربري . جاءت بعيدة عن مفهوم النص ، لماذا ؟ لان لفظ (الوصول) الوارد في النص قد جاء في الترجمة بمفهوم (الاتحاد ـ Union) ـ اي اندماج ذاتين في ذات واحدة ـ ، وليس في النص ما يشير الى هذا المعنى .

وفرقٌ في المعنى بين (الوصول) و (الاتصال) لغةً وفي المصطلح الصوفي ، كما سنرى .

ثانياً ـ ما معنى (نار الوصول) ؟

من اجل هداية السالك ، النائه في المفازة ، توقد له على مرتفع من الارض نارٌ تدله على الطريق .

والصوفي السالك في طريق الحقيقة ، تتشعب عليه دروبها فيضيع في متاهاتها ويغيب عنه الطريق . ومن أجل هدايته ترفع له (نار الوصول) ، للوصول الى معالم الطريق ، أو للوصول الى القصد المقصود .

ونلاحظ هنا في نص النفري أن الحق سبحانه هو الذي يرفع للسالك (نار الوصول) اذا دلّ السالك على الحجاب .

ثالثاً ـ ما معنى : (مَنْ دلّ على الحجاب) ؟

١ ـ (الحجاب) هنا في نص النفري يعني كل ما يحجب الانسان عن العلم بالله تعالى ورؤية الحقيقة المطلقة .

وكل شيء في الكون حجاب يحول دون الانسان وادراك العلم بالمكونّ .

٢ ـ وبامكان الانسان ، بل من الواجب عليه ، العلم باحكام الله أوامره ونواهيه ، والعمل بها . اما العلم بالله فمغّيب عليه . قال تعالى : ولا يحيطون بشيء من علمه »[٤٠] . وقال : « ويحذّركم اللهُ نفسَه »[٤١] .

٣ ـ ومن المحال على الانسان وهو (وجود نسبي) العلم بالله وهو سبحانه (الوجود المطلق) . وما الوجود المطلق الا (الغيب المطلق) .

٤ ـ ويتردد عند الصوفية قول ينسب الى أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ : « العجز عن درك الادراك ادراك)[٤٢] والى هذا المعنى ـ كمانرى ـ يشير نص النفري . لقد أراد أن يقول : إن مَنْ أقرّ بالعجز عن الوصول الى حقيقة المعرفة ، فقد وصل الى حقيقة المعرفة .

رابعاً ـ ما معنى : (الوصول) عند الصوفية ؟

١ ـ الغالب عند الصوفية أن (الوصول) يراد به الوصول الى الله تعالى . واذا ذكر لفظ (الاتصال) عندهم فيراد به اتصال قلب العبد بربه .

ويتحقق الوصول الى الله تعالى للناس كافةً بعد الموت .

قال إبو بكر الطمستاني :

« الموت باب من أبواب الآخرة ، ولن يصل العبد الى الله تعالى الا بدخوله »[٤٤] .

ويرى الشيخ عبد القادر الكيلاني (رضوان الله عليه) في كتابه (الفتح الرباني) أن « الوصول :وصولان :عام وخاص .

العام : الوصول الى الله عز وجل بعد الموت . والخاص : وصول قلوب آحاد أفراد الى الله عز وجل ، قبل الموت ، وهم الذين يجاهدون أنفسهم بالمخالفات ويخرجون عن الخلق فيما يرجع الى الضر والنفع [يشير الى الخواص من أهل التجريد] فاذا داموا على هذا وصلوا اليه ، كما يصل العوام بعد الموت .. »[٤٥]

www.dorat-ghawas.com

٢ ـ ويذهب الشيخ (طاهر المقدسي) الى أن « المفاوز عنه [تعالى] منقطعة ، والطرق اليه منطمسة »[٤٦] فلا سبيل اذن للوصول اليه .

ويرى الشيخ (محيي الدين بن عربي) أن الانسان لا يمكن له أن يصل الى الله الا اذا خرج عن حدود الكون ، ذلك لان الكون نسبي ، والله تعالى وجود مطلق ، وليس بين النسبي ، والمطلق أية نسبة او علاقة . يقول في كتابه (التراجم) :« مَنْ كان الى الله طريقه لا يعرف الكو ، فان الكون لا يُوصل اليه ، لانه لو وصل اليه لكان حداً له ، وليس [الله سبحانه] بحدٍ لشيء »[٤٧] .

ويؤكد ابن عربي هذا الرأي في كتابه (التجليات) قائلاً : « إن ادعيت الوصلة وجمع الشمل ، أخاف عليك أن يكون جمعك بك ، لا جمعك به ، فتقول : قد وصلتُ ، وأنت في عين الفصل ، وتقول : اجتمعتُ ، وأنت في عين الفرق .»[٤٨] .

٣ ـ وفي كتابه (التراجم) يذهب ابن عربي الى أن الوصول الى (معرفة ذاته) [سبحانه] لا يحصل الا بالوهب ، اما الوصول الى (معرفة وجوده) فيحصل بالكسب ، فيقول : « طائفة سلكت فوصلت ... وطائفة جُذبت ، أخذهم اليه ابتداءً فتولاهم بنفسه عنايةً ... فبالوهب يوصل الى معرفة ذاته ، وبالكسب الوصول الى معرفة وجوده »[٤٩] . ما معنى هذا الكلام ؟

الذي نراهأن ابن عربي أراد بالوصول الى (معرفة ذاته) سبحانه العلم بالسلب ، وهو العلم بعدم العلم ، أي أن تجهل كل شيء به سبحانه . يقول (النفري) في كتابه (المواقف) على لسان الحق سبحانه :

« أوقفني في معرفة المعارف وقال لي : هي الجهل الحقيقي من كل شيء بي »[٥٠] .

واما (معرفة وجوده) سبحانه ، فهي ان تعرفه وجوداً مطلقاً وان صفاته انما هي نسب عدمية . قال تعالى :

« ليس كمثله شيءٌ ، وهو السميع البصير »[٥١]

٤ ـ وفي الوصول الى الله بالوهب الالهي ، يقول (أبو الحسين الوراق) وهو من مشايخ الطبقة الثالثة الصوفية :

« لا يصل العبد الى الله الّا بالله »[٥٢] .

وقال بعضهم : « لا وسيلة اليه غيره »[٥٣] .

ومنهم مَنْ قال : « مَنْ طلب الطريق اليه وصل الى الطريق بجهد واجتهاد ومجاهدة . ومَنْ طلبه استغنى عن الطريق »[٥٤] .

وفي كتابه (المواقف) يقول النفري :

« مَنْ لم يكن جاذبه الله لم يصل الى الله »[٥٥] .

ويقول (ابو بكر الشبلي) : « مَنْ طلب الحق بالمجاهدات فهو بعيد عن وصوله الى مطلوبه . ومَنْ طلبه به تعالى ، وصل اليه »[٥٦] .

٥ ـ ومن الصوفية مَنْ كان يقول :

« لا يُطلب الحق ، لأن الطلب لا يكون الّا لمفقود »[٥٧] والحق سبحانه دائم الوجود مع الخلق ، وأقرب اليهم من حبل لوريد .

خامساً ـ ما معنى نص النفري ؟

الذي نراه أن النفري أراد أن يقول ان الحق سبحانه غيب مطلق ، وان الكون وما فيه حُجب كثيفة ، لا حصر لها ، تحول دون العلم به بل بشيء من علمه .

يقول النفري في كتابه (المواقف) على لسان الحق سبحانه :

« أظهرتُ كل شيءٍ يحجب عني ولا يدل عليّ »[٥٨] ويقول « مَنْ عرف الحجاب أشرف على الكشف »[٥٩] ويوضح النفري معنى (الكشف) في (موقف الامر) فيقول على لسان الحق سبحانه :

« الكشف أن تنفي عنك كل شيءٍ وعلم كل شيءٍ وتشهدني بما أشهدتك ... »[٦٠] .

ويؤكد هذا المعنى في (موقف الليل) قائلاً على لسان الحق سبحانه : « الجهل حجاب الحجب ... وليس بعد الجهل حجاب ولا حاجب فما تعلم مني ، وما تعلم بي ، وما تعلم لي ، وما تعلم من كل شيء فانفه بالجهل ... احتجب عن العلم بالجهل والّا لم ترني »[٦١] .

ومعنى الجهل هنا ، العلم بالسلب (ليس كمثله شيء) ويقول النفري فيه : « الجهل وراء المواقف ، فمن وقف فيه أدرك علوم المواقف »[٦٢] .

الى هذا المعنى ـ كما نرى ـ أراد النفري باشارته : « مَنْ دلّ على الحجاب فقد رفعتُ له نار الوصول »

(٥)
(الالف المعطوف)

نص النفري[٦٣] :

« الاسم ألف معطوف » .

ترجمة آربري[٦٤] :

"Name is an inclined alif"

استدراك وتعليق :

١ ـ هذا النص دقيق المبنى ، عميق المعنى ، يحتاج الى تأمل وإنعام نظر . وقد يظهر للبعض غامضاً ، غير مفهوم ، ونلاحظ أن الأستاذ آربري نفسه عند تعليقة على هذا النص قال عنه انه (غامض) ، وهو فيما يبدو منقطع معزول عن سياقه المناسب في الكلام ، وهذه أصل عبارته :

« The verse is obscure and seemingly isolated from its proper context. »

٢ ـ وقبل الخوض في معنى هذا النص نقول : ان ترجمة

www.dorat-ghawas.com

الاستاذ آربري جاءت بعيدة كل البعد عن مفهوم النص . لماذا ؟

لأن الترجمة تقول : الإسم ألف مائل ـ 'inclined' على حين أن (الالف) ـ عند النفري ـ مستقيم أبداً غير مائل ، كما سنرى .

ما معنى (الاسم) في نص النفري ؟

١ ـ الذي نراه أن لفظ (الاسم) هنا يراد به الاسماء والصفات الالهية . وقد جاء في نص النفري بصيغة المفرد اشارةً الى الاسم الالهي (الله) وهو عند الصوفيه رأس الاسماء الالهية ويضمها جميعاً .

٢ ـ والأسماء الالهية نِسَبٌ اعتبارية ـ كما يرى الصوفية وفي هذا المعنى يقول الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه (المسائل) :

« .... ليس بأيدينا على الحقيقة من الحق تعالى الّا اسماؤه ولا نعقل منه غيرها ، وبهذه النسبة نسميه معروفاً ومعلوماً ، ونسمي أنفسنا علماء وعارفين ... »[٦٥] . ويقول في (رسالة لا يعوّل عليه) :

« المعرفة بالله معراة من الأسماء الالهيه ، لا يعولَ عليها فانها ليست بمعرفةٍ »[٦٦] . ويقول في كتابه (الفتوحات المكية)

« ان في العلم حقائق معقولات ، لا وجود لها في (الوجود الوجودي) ولا في (الوجود الإمكاني) ، فيظهر حكمها في الحق فتنسب اليه وتسمى أسماء الهية ، فينسب اليها من نعوت الازل ما ينسب الى الحق .

وتنسب أيضاً الى الخلق بما يظهر من حكمها فيه ، فينسب اليها من نعوت الحدوث ما ينسب الى الخلق ...[٦٧] .

ما معنى (الالف) في نص النفري ؟

١ ـ يشير النفري بالالف هنا الى حرف الالف العربي ، وهو يرى أن هذا الحرف وحده دون الحروف جميعاً ، مستقيم غير مائل ، فيقول في كتابه « المخاطبات » : « الحروف كلها مرضى الّا الالف ، أما ترى كل حرف مائل ، أما ترى الالف قائماً غير مائل ، انما المرض الميل ، وانما الميل للسقام ، فلا تمل »[٦٨]

٢ ـ ومن الصوفية مَنْ يذهب الى أن (الالف) ليس من الحروف مثله ـ عندهم ـ مثل (الواحد العددي) الذي لا يُعد من الأعداد ، بل كلاهما (الواحد والالف) رمز للوحدانية . يقول الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) : « الالف ليس من الحروف عند مَنْ شَمَّ رائحة من الحقائق ولكن قد سمته العامة حرفاً ، فاذا قال المحقق إنه حرف فانما يقول ذلك على سبيل التجوز في العبارة »[٦٩]

٣ ـ ما مفهوم (الالف) انن ؟

يقول ابن عربي : «مقام الالف (مقام الجمع) ، له من الأسماء ، اسم الله ، وله من الصفات القيومية »[٧٠]

٤ ـ ما معنى « الالف مقام الجمع ؟

يقول ابن عربي : « أصل الاشكال الخط ، كما أن أصل الخط النقطة . والخط هو الالف ، فالحروف منه تتركب ، واليه تنحل ، فهو أصلها »[٧١] .

٥ ـ وفي (كتاب الالف) يقارن ابن عربي بين (الواحد) و (الالف) موضحاً معنى (مقام الجمع) فيقول : « كما أن (الواحد) لا يتقيد بمرتبة دون غيرها ويخفي عينه ـ أعني اسمه ـ في جميع المراتب كلها ... كذلك (الالف) لا يتقيد بمرتبة ويخفي اسمه في جميع المراتب[٧٢] » أراد ابن عربي أن يقول إن (الوحدانية) سارية في الموجودات جميعاً ، ويضرب مثلاً بالواحد العددي ويحرف الالف .

اما (الواحد العددي) فانه يتكرر في جميع الاعداد الى ما لا يتناهى منها ، وأما (الالف) فيجمع الحروف جميعاً لانها كلها ـ كما يرى ـ تتركب منه .

مامعنى نص النفري « الاسم الف معطوف » ؟

١ ـ الذي نراه أن النفري أراد هنا بلفظ (معطوف) الى معنى « المتعلق أو المرتبط » ويفهم من نص النفري أنه يشير الى (التفاف المتضايفين) وهو ـ كما في عبارة ابن عربي ـ من (علوم الارتباطات : رب ومربوب ، واله ومألوه ، وقادر ومقدور ، وعالم ومعلوم ...[٧٣] » .

٢ ـ النص انن يشير الى فكرة صوفية جد عميقة ، تلك هي فكرة الإرتباط الإضافي بين الحق سبحانه (اسماً الهياً) وبين (الخلق) ، إرتباط نسبةٍ ، وليس ارتباط امتداد .

٣ ـ ويوضح الشيخ محيي الدين بن عربي هذه الفكرة قائلاً : « ... فنسبة العالَم الى ما تُعطيه حقائق بعض الاسماء الالهية نسبة المتضايفين من الطرفين ، فالعالَم يطلب تلك الاسماء الالهية ، وتلك الاسماء الالهية تطلب العالَم ، كالاسم : الرب والقادر والخالق والنافع والضار والمحيي والمميت ، والقاهر والمعز والمذل ، الى امثال هذه الأسماء [٧٤] » .

هوامش القسم التاسع

(الجزء الاول)

١ ـ النفري (محمد بن عبد الجبار) ـ كتاب المخاطبات ـ ص ١٨٦ (تحقيق آرثر يوحنا آربري ـ دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ ١٩٣٤ ـ أعادت

www.dorat-ghawas.com

طبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد .

٢ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ١٦٠ (مخاطبة رقم ـ ٣٠ ـ فقرة ـ ١٨)

٣ ـ السراج ـ اللمع ـ ص ٤٣٠

٤ ـ المصدر السابق ـ ص ٤٣٠

٥ ـ محيي الدين بن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ كتاب اصطلاح الصوفيه ـ ص ٨

٦ ـ أحمد بن عطاء الله الاسكندري ـ الحكم العطائية ـ ص ٣١

٧ ـ محيي الدين بن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ رسالة الشيخ الى الامام الرازي ـ ص ١١

٨ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ص ١٦٧

٩ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ١٤٧ ـ ١٤٨ (مخاطبة رقم ـ ١٦ ـ فقرة رقم ـ ٨)

١٠ ـ سورة آل عمران / ٧٩

١١ ـ سورة المائدة / ٤٤

١٢ ـ سورة المائدة / ٦٣

١٣ ـ محيي الدين بن عربي (الفتوحات المكية ج٢ ص٣١٨

١٤ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ٩٧

١٥ ـ المصدر السابق ـ ص ١٠٦

١٦ ـ المصدر السابق ـ ص ٩٨

١٧ ـ عبد الوهاب الشعراني ـ الطبقات الكبرى ـ مطبوعات محمد علي صبيح واولاده .القاهرة ـ بلا تاريخ ـ ج١ ص ١٠٢

١٨ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ١٤ .

١٩ ـ المصدر السابق ـ ص ٩٩

٢٠ ـ محيي الدين بن عربي ـ كتاب التدبيرات الالهية في اصلاح المملكة الانسانية ـ ص ١١٥

٢١ ـ محيي الدين بن عربي . رسائل ابن العربي ـ كتاب المسائل ـ ص ٦

٢٢ ـ محيي الدين بن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ج٢ ص ٦٤٤ .

٢٣ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ٦١

٢٤ ـ المصدر السابق ـ ص ٨٨ .

٢٥ ـ المصدر السابق ـ ص ٩١ .

٢٦ ـ محيي الدين بن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ج٢ ص ٤١٣ ـ ٤١٤

٢٧ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ٣٧

٢٨ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ترجمة آربري بالانكيزية ـ ص ٥٤ (الموقف رقم ١٨ . الفقرة ـ ٤ ـ)

٢٩ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص٣٧

٣٠ ـ المصدر السابق ـ ص ١١٨

٣١ ـ المصدر السابق ـ ص ١١٧

٣٢ ـ المصدر السابق ـ ص ١١٩

٣٣ ـ أبو عبد الرحمن السلمي ـ طبقات الصوفية ـ ص ٣٥٩

٣٤ ـ محيي الدين بن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ كتاب المسائل ص ٢٦

٣٥ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ١١٢

٣٦ ـ المصدر السابق ـ ص ١٠٤

٣٧ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ص ١٦٩

٣٨ ـ النفري ـ المصدر السابق ـ ص ١٨٨

٣٩ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ١٦١ المخاطبة رقم ـ ٣٤ ـ الفقرة ـ ١)

٤٠ ـ سورة البقرة / ٢٥٥

٤١ ـ سورة آل عمران / ٢٨

٤٢ ـ

٤٢ ـ محيي الدين بن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ج٢ ص ٦١٩ـ

٤٤ ـ ابو عبد الرحمن السلمي ـ طبقات الصوفية ـ ص ٤٧٢

٤٥ ـ الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ الفتح الرباني ـ ص ٢٣٧ـ

٤٦ ـ ابو عبد الرحمن السلمي ـ طبقات الصوفية ـ ص ٢٧٦

٤٧ ـ محيي الدين بن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ كتاب (التراجم) ـ ص ١١

٤٨ ـ محيي الدين بن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ كتاب التجليات ـ ص ١٦

٤٩ ـ محيي الدين بن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ كتاب التراجم ـ ص ١٥

٥٠ ـ النفري ـ كتاب الموقف ـ ص ١٩

٥١ ـ سورة الشورى / ١١

٥٢ ـ أبو عبد الرحمن السلمي ـ طبقات الصوفية ـ ص ٢٩٩

٥٢ ـ المصدر السابق ـ ص ٤٩٤

٥٤ ـ المصدر السابق ـ ص ٤٣٠

٥٥ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ٨٦

٥٦ ـ عبد الوهاب الشعراني ـ الطبقات الكبرى ـ ج١ ص ٩٠

٥٧ ـ المصدر السابق ـ ج١ ص ٩٥

٥٨ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ٨٠

٥٩ ـ المصدر السابق ـ ص ٥٣

٦٠ ـ المصدر السابق ـ ص ٣٠

٦١ ـ المصدر السابق ـ ص ١٠٥ ـ ١٠٦

٦٢ ـ المصدر السابق ـ ص ٦٤

٦٣ ـ المصدر السابق ـ ص ١١٨

٦٤ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ١١٣ (الموقف رقم ـ ٦٧ ـ الفقرة رقم ـ ٤٥)

٦٥ ـ محيي الدين بن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ كتاب المسائل ـ ص ٢٦

٦٦ ـ محيي الدين بن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ رسالة لا يعول عليه ـ ص ٣

٦٧ ـ محيي الدين بن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ج٣ ص ٤٣٠

٦٨ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ص ٢٠٥ (المخاطبة رقم ـ ٥٢ ـ الفقرة ـ ١)

٦٩ ـ محيي الدين بن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ج١ ص ٦٥

٧٠ ـ المصدر السابق ـ ج١ ص ٦٥

٧١ ـ المصدر السابق ـ ج٢ ص ١٢٢

٧٢ ـ محيي الدين بن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ كتاب الالف ـ ص ١٣

٧٣ ـ محيي الدين بن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ج٢ ـ ص ٥٨٦

٧٤ ـ المصدر السابق ج٣ ص ٤٩٩

www.dorat-ghawas.com